﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾:

انظر إلى رب موسى في مناظرته مع أطغى الطغاة وأحمقهم، يستند لإبطال كونه مسحوراً إلى علم فرعون أن هؤلاء نازلة من رب السماوات والأرض بصائر[1] وإذ لا تبتصر أنت بهذه البصائر فلا بصر لك إذاً ولا بصيرة ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ هالكاً في بعدين من الأبصار، حيواناً في بصرك، وإنساناً في بصيرتك!.

يقول: ﴿لَأَظُنُّكَ﴾ حال أنه متيقن معلوم، رعاية لأدب المناظرة ألا يتجاوز الكلمة الفرعونية: ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ ظناً بظن، ولا يملك ظن فرعون حجة، ولموسى الحجة البالغة في يقينه ولكنه يعبر عنه بالظن معارضة بالمثل!.

والمثبور هو الهالك المدمر بجهله وجهالته تقصيراً، حيث غربت بصيرته وعزب عنه عقله، بما أهلكه طغيانه، وأنساه إنسانه.

وترى لماذا «هؤلاء» وهي لمن يعقل؟ علّه لأنها بصائر للعقول، صادرة عن خالق العقول لمن يعقل.

ثم وسناد هؤلاء إلى رب السماوات والأرض تنبيه أنها ليست لتصدر

(١) نور الثقلين ٣: ٢٣٠ ح ٤٦٢ مجمع البيان وروي أن علياً عليه السلام قال في «علمت» والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذي علم فقال: لقد علمت أقول: هل كذب موسى أو استند إلى علم نفسه ف«علمت» بضم التاء، واستناد المناظر على المناظر بعلمه نفسه جهل، فهذه الرواية مختلقة مخالفة للقرآن كما وتعارضها أخرى في نفس المصدر ح ٤٦٣ في تفسير علي بن إبراهيم في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الإسرَاء: ١٠٣] أراد أن يخرجهم من الأرض وقد علم فرعون وقومه ما أنزل تلك الآيات إلا الله عزوجل، وتؤيده الآية: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ...﴾ [النمل: ١٤] بعد الآية: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [النَّمل: ١٣].

عن غيره، فأنت أنت يا فرعون تدعي ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[١] ولا تقدر على أصغر آية منها أو تدفع عنها، فكيف تعطف بها إلى سحر أم جنون، في حين أن العقلاء بأجمعهم لا يستطيعونها ولا أصغر آية منها، وحتى الأرضية فيها فضلاً عن السماء!

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾:

إرادة استفزازية فرعونية، فراراً عن الحجج الموسوية بالبصائر الإلهية، ولجوءً إلى طغوى مادية هي سنة للطغاة، حيث يواجهون الحجة العقلية بالقوة المادية اللّاعقلية... فلأنه ما استطاع استفزازاً لحجته وصداً عاقلاً لمعَجته، أراد أن يستفزهم من الأرض استئصالاً عن الأرض كلها بقتلهم، أو إخراجاً عن أرض الفرعنة ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا﴾ دون إبقاء!:

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾[٢].

﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾:

الأرض هذه هي أرض مصر كما استضعفوا فيه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[٣]

(١) سورة النازعات، الآية: ٢٤.
(٢) سورة الشعراء، الآيات: ٦٠-٦٧.
(٣) سورة القصص، الآية: ٥.

فالمستضعفون من بني إسرائيل سكنوا أرض مصر وراثة عن فرعون وملئه، ولو كانت هي الأرض المقدسة لصرح بها، ثم ولا صلة بها لموقفهم إذ أغرق الله فرعون وجنوده في يمِّ مصر ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ﴾: (عذابها لمن عصى) ﴿جِئْنَا بِكُمْ﴾: (أنتم وآل فرعون) ﴿لَفِيفًا﴾: خلطاء مع بعض دون ميزة قومية إلّا بأعمالكم.

وقد يعني ﴿وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ﴾ هنا فيما يعنيه المرة الآخرة من مرتيهم كما في مفتتح الأسرى: ﴿. . .فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾[1] والجيئة اللفيف - إذاً - هي الجيئة السوداء لاسوداد في وجوههم أكثر وتبتيرهم بأيدي القائم المؤمل (عجل الله فرجه) وأصحابه.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾:

هنالك إنزال للقرآن وهناك نزول له يختلفان فعلية وفاعلية مهما اتفقا في الحق، ففاعلية الحق هي أن الله أنزله في حالة الحق حيث الحق مادته وكيانه وقوامه، وبسبب الحق وغايته. . . فهل نزل كما أُنزل، دونما اصطدامه حين أنزل بصدامات الشياطين أمّن ذا، ودونما خطإٍ في منزله: قلب الرسول ﷺ ولا فيمن أُنزل به: الروح الأمين، ولا في مقامه في منزله الأوّل وسائر منازله حتى القيامة الكبرى؟

أجل ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ﴾ وهنالك فعليته فلا تجد فيه إلّا الحق، ولا في منازله إلا نزول الحق، ولا في غاياته إلّا الحق: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ به ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بمبشاراته

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

«ونذيراً» بنذاراته دون أن تزيد فيه ولا أن تنقص عنه! فالحق إنزالاً ونزولاً سُداه ولحمته، مادته وغايته، صورته وسيرته، قوامه واهتمامه، ومكانه ومكانته بأحق ما يكون من معنى للحق، دون شوب للباطل فيه أو نقص ونسخ يعتريه!

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾:

هنالك قرآن غير مفروق هو النازل عليه ليلة القدر، وقرآن آخر مفروق هو النازل عليه طوال البعثة: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[1].

فهذا الرسول ﷺ يعيه محكماً دونما فرق ولا مكث، ولكن الناس ليسوا ليعوه ويفهموه إلّا على مُكث، بل وليثبت قلب الرسول ﷺ على آياته البينات تطوراً وتنوراً: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾[2].

فهنالك فرق بين فرق القرآن للرسول تثبيتاً لفؤاده ما وعاه محكماً، وفرقه للمرسل إليهم ليعوه ومن ثم تثبت عليه أفئدتهم!.

ثم إن فرق القرآن له بعدان، بُعد الألفاظ حيث فرقت في نجوم عدة عبر الرسالة، فصلاً له في سور وآيات وذلك بمنزلة فرق الشعر وهو تمييز بعضه عن بعض حتى يزول التباسه ويتخلص التفافه.

وفرق المعاني أي بيناه للناس بنصوع مصباحه وشدوخ أوضاحه حتى صار كمفرق الفرس في وضوح مخطّه، أو كفرق الصبح في بيان مُنبَلَجه.

فمن واجب القراءة للقرآن أن يقرأ على مكث ويرتل ترتيلاً دونما

(١) سورة هود، الآية: ١.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

استعجال، ولقد كان أصحاب النبي ﷺ يتعلمون القرآن على مهل خمساً خمساً إمّا زاد أو نقَصَ دون أن ينثروه نثر الدقل أو يركموه ركم الركام!.

ثم من فرق اللفظ في القرآن كما أشرنا فرقه الصغير بالآيات ثم الكبير بالسور كما تذكر أن في عديد من الآيات، وأما الفرق بالركوعات والسجودات والأجزاء أمّا ذا مما اصطلح عليه القراء فلا أثر عنهما في القرآن.

صيغة السورة والسور نجدها في عشر، «منزَّلة» (٩: ٦٤) تدريجياً، أو «مُنْزَلة» (٩: ٨٦) دفعياً، والسور القرآنية لا تخلو عن إنزال أو تنزيل وإن كان تنزيلها أكثر[١].

ولأن السورة والآية من صنيع الوحي فعديدهما كذلك وحدودهما أيضاً من الوحي، ومهما اختلفت القراء في عدد السور والآيات فلا اختلاف في ألفاظ القرآن الموجودة بين الدفتين، والسور حسب الرسم المتواتر مائة وأربع عشرة، ومهما اعتبرت سورتا الضحى وألم نشرح وسورتا الفيل ولإيلاف سورة واحدة، فهذه الوحدة حكمية وليست واقعية.

ثم عديد الآيات، رغم الاختلافات الستة فيها[٢] لا تضر بالحفاظ على كلمات القرآن وحروفه وهي محدودة دونما اختلاف.

ومن أهم الخلافات بين الشيعة والسنة تحسب البسملات من السور وعدم تحسُّبها حيث البون بينهما يصبح في ١١٣ - آية وليس حسب الكتب القرآنى إلّا اختلافاً صورياً، وكون البسملة آية في النمل يحتم كونها آية أينما كانت من السور!.

---

(١) فالتنزيل في موردين ثانيهما ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ [محمَّد: ٢٠] والإنزال في خمسة، والثلاثة الباقية إتيان لها ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يُونس: ٣٨].

(٢) اختلفوا أن آياته ستة آلاف أم ومائتان وأربع أم وأربع عشرة، أم وتسع عشرة، أم وخمس وعشرون أم وست وثلاثون.

ومما لا يريبه شك أن ترتيب الآيات والسور كما الآن مثل تركيب السور والآيات كل ذلك من الوحي دون تدخل من غير الوحي فإن الكل من فرق القرآن ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾!

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾:

إن شرائط الإيمان به لزاماً حاصلة ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ أنتم الجدد في واجهة وحي الكتاب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾: علم الوحي الكتاب والبشارة فيه بحق القرآن، أولئك يؤمنون به ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] يعرفونه في بعدين اثنين،

١ - فبالمقايسة بين الوحيين وحي القرآن يفوق سائر الوحي أم لا يقل عنه.

٢ - وبما بشر بنزول القرآن كما في كتاب اشعياء[2].

وكما يعرفون محمداً ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۘ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3] بنفس البعدين.

﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾: تخضعاً له وتواضعاً واحتراماً، ليس في آيات السجدة فحسب، بل والقرآن كله، وهذه قضية الإيمان الصادق.

وهذه ثالثة الآيات الدالة على وجوب الاستماع للقرآن ثانيتها كهذه:

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٢٠.
(٢) راجع كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية».
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٦.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾﴾[١] وأولاها: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢] وأقل السجود للقرآن استماعه إذا قرئ، وأكثره السجود للأذقان في استماع سائر القرآن ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ وأوسطه واجب السجود عند استماع آيات السجود وهذه منها.

ولأن الخرور للأذقان سجود، فهو سائغ في الصلاة لمن لا يمكنه سواه[٣] ولعل «يخرون» الأول خرور الخضوع بالجوارح والثاني خرور الخشوع بالجوانح، تدرجاً من الجارح إلى الجانح، حيث البكاء من مظاهر خشوع الجارح كما الخشوع يختص بالجانح!.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٤] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٥] ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾[٦].

آيات أربع في سائر القرآن أن لله تعالى الأسماء الحسنى فادعوه بها لا

(١) سورة الانشقاق، الآيتان: ٢٠، ٢١.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.
(٣) نور الثقلين ٣: ٣٣١ ح ٤٧٠ في تفسير علي بن إبراهيم حدثني أبي عن الصباح عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: رجل بين عينيه قرحة لا يستطيع أن يسجد عليها، قال: يسجد ما بين طرف شعره، فإن لم يقدر سجد على حاجبه الأيمن فإن لم يقدر فعلى حاجبه الأيسر فإن لم يقدر فعلى ذقنه، قلت: على ذقنه؟ قال: نعم أما تقرأ كتاب الله عز وجل: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ [الإسراء: ١٠٩]؟
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.
(٥) سورة طه، الآية: ٨.
(٦) سورة الحشر، الآية: ٢٤.

سواه، فهناك أسماء سيئة تختلق[١] وأخرى حسنة تخلط بين صالح وسواه[٢] لا تناسب أيٌّ من هذه أو تلك الساحة المقدسة الإلهية ﴿فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٣] ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[٤] حيث يصفونه بالحسنى التي وصف بها.

وقد يلوح من ﴿أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ أن أناساً كانوا معترضين على دعوة الرحمن كأنه غير الله فهذه ثنوية تنافي دين التوحيد وكما يروى أن الرسول ﷺ صلى بمكة ذات يوم فدعا الله فقال في دعائه: «يا الله يا رحمن» فقال المشركون انظروا إلى هذا الصابئ ينهانا أن ندعو إلهين؟ وهو يدعو إلهين؟ فأنزل الله ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ الآية وكان رجل باليمن يسمى رحمن[٥].

إن هؤلاء الحماقى خيل إليهم بطبيعتهم الشركية أن عدد الاسم دليل لعديد المسمى، على غفلة أن أسماء الله تعالى هي تحبيرات اللغات وتعبيرات شتى عن صفاته الذاتية والفعلية دون تعديد في الذات أو في حقيقة صفات الذات، أو الذات وهذه الصفات، فإنما هذه الأسماء الحسنى التي تناسب ساحة الألوهية تعبيرات حسنى عن ذات واحدة بحقيقة الوحدانية.

---

(١) كالأسماء الخاصة بالمخلوقين مثل الآكل. الذاهب، الماشي، الخائف، الراجي أما ذا؟

(٢) كالأسماء التي تجمع بين اللائق بذاته وغير اللائق كـ «الواجب الوجود». الوجود المطلق مقابل الوجود المحدود حين يعنى منهما سنخ واحد في اعتقاد وحدة حقيقة الوجود.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٤٠.

(٥) الدر المنثور ٤: ٣٠٦ - أخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس قال: صلى رسول الله ﷺ . . . وفيه أخرج ابن جرير عن مكحول أن النبي ﷺ كان يتهجد بمكة ذات ليلة يقول في سجوده: يا رحمن يا رحيم فسمعه رجل من المشركين فلما أصبح قال لأصحابه: انظروا ما قال ابن أبي كبشة يزعم الليلة الرحمن الذي باليمن وكان باليمن رجل يقال له رحمن فنزلت الآية.

والاسم - أياً كان - ما يدل على مسمى، فهو إذاً غير المسمى، سواء أكان لفظياً كأسماء الله الحسنى التي ندعوه بها، أم عينياً كسائر الكون فإنها بذواتها تدل على خالقها، أم وخصوص الأولياء المكرمين ولا سيما أهل بيت الرسالة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم من أسماء الله الحسنى ندعوه بها، ثم لا يكون لعديد الأسماء اللفظية عديد من معان في ذات الله، اللّهم إلّا أسماء الأفعال الدالة على عديد الأفعال، وهي حادثة بإرادة الله تعالى، منفصلة عن ذاته وليست في ذاته أو عينها. وأما أسماء الصفات الذاتية كالعلم والحياة والقدرة فهي تدل على حقيقة واحدة مجردة عن أي تركب دون حقائق هي عين الذات أو عارضة على الذات! وهذه الثلاثة أركان لسائر أسمائه الحسنى[1].

وترى «هل كان الله عزوجل عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟ نعم! فهل يراها ويسمعها؟ ما كان محتاجاً إلى ذلك، لأنه لم يكن يسألها ولا يطلب

(١) نور الثقلين ٣: ٢٣٣ ح ٢٧١ عن الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير مصوت وباللفظ غير منطق وبالشخص غير مجسد وبالتشبيه غير موصوف وباللون غير مصبوغ منفي عنه الأقطار، مبعد عنه الحدود، محجوب عنه حس كل متوهم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً ليس واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، وحجب منها واحداً وهو الاسم المكنون والمخزون، فهذه الأسماء التي ظهرت، فالظاهر هو الله تبارك وتعالى، وسخر سبحانه لكل اسم من هذه الأسماء أربعة أركان، فذلك اثني عشر ركناً، ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسماً، فعلاً منسوباً إليها فهو: الرحمن - الرحيم - الملك - القدوس - البارئ - الخالق - المصور - الحي - القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم - العليم - الخبير - السميع - البصير - الحكيم - العزيز - الجبار - المتكبر - العلي - العظيم - المقتدر - القادر - السلام - المؤمن - المهيمن - المنشئ - البديع - الرفيع - الجليل - الكريم - الرزاق - المحيي - المميت - الباعث - الوارث: فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتى تتم ثلثمائة وستين اسماً فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة وهذه الأسماء الثلاثة أركان وحجب الاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة وذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

منها، هو نفسه ونفسه هو، قدرته نافذة، فليس يحتاج أن يسمي نفسه، ولكنه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها لأنه إذا لم يدع باسمه لم يُعرف فأوّل ما اختاره لنفسه «العلي العظيم» لأنه أعلى الأشياء كلها فمعناه الله واسمه العلي العظيم هو أوّل أسمائه علا على كل شيء»![1].

فأسماء الله الحسنى بثلاثتها الأركان وسائر الفروع، أنها ليست إلا لحاجة الخلق لا لحاجته، ولا أنها تحكي عن عديد من الحقائق المختلفة في ذاته وحتى الثلاثة الأركان، اللهم إلّا ذاتاً واحدة بحقيقة الوحدة، مجردة عن أي تركيب بأي معنى!.

فـ «من عبد الله بالتوهم فقد كفر، ومن عبد الاسم ولم يعبد المعنى فقد كفر، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي يصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته فأولئك هم المؤمنون حقاً»[2].

فذات الله تعالى غير هذه الأسماء وهي غيرها[3] وإنما هي تحبير اللغات عن الذات المقدسة بصفاته الذاتية والفعلية.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ﴾ الاسم الأعظم الظاهر للذات المقدسة ﴿أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ أعم الأسماء الشاملة للرحمة الإلهية ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ من أسمائه التي

(١) نور الثقلين ٣: ٢٣٣ ح ٤٧٢ عن أصول الكافي بإسناده عن ابن سنان قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام هل كان الله... أقول: فالسائل ابن سنان والمجيب الإمام الرضا عليه السلام كما في المتن.

(٢) في التوحيد للصدوق عن ابن رئاب عن غير واحد عن أبي عبد الله عليه السلام قال...

(٣) في التوحيد مسنداً وفي الاحتجاج مرسلاً عن هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبد الله عن أسماء الله عز ذكره واشتقاقها فقلت: الله مم هو مشتق؟ قال يا هشام الله مشتق من إله وإله يقتضي مألها والاسم غير المسمى - ذكر مثل ما عن ابن رئاب إلى أن قال -: فقلت زدني فقال: إن لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماً فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلهاً ولكن لله معنى يدل عليه بهذه الأسماء وكلها غيره.